الباب الثانى

أوضاع الشيعة في الهند في الفترة من القرن الرابع حتى القرن السادس الهجرى

الفصل الأول
ترتيب الدعوة الإسماعيلية

استطاعت الإسماعيلية بفضل نظامها في الدعوة أن تنشر دعوتها في مختلف بلدان العالم الإسلامى، وأن تأسس الدولة الفاطمية، فقد كانت الدعوة هى الوسيلة التى اتخذوها لتحقيق نجاحهم في دورى الستر والظهور، وجعل الإسماعيلية الدعاية من صميم عقيدتهم، وتقوم فلسفتها على التأمل في نظام الكون، مستفيدين في ذلك بآراء الفلاسفة القدماء وبالديانات القديمة، ومزجوا ذلك بالدين الإسلامى، واستنبطوا بذلك عقيدة هى مزيج عجيب من كل الفلسفات والديانات، وأضافوا إلى ذلك كله فن الدعاية بحيث جعلوا الدعاة من حدود الدين لإضفاء الفضائل والتقديس عليهم حتى يستطيعوا توجيه أتباعه[1]، فقد ذكر إبراهيم بن الحسين الحامدى عند حديثه عن الحدود "اعلم أن خلاص النفوس لا يحصل لها إلا بالالتزام بالحدود وبطاعتهم، وطاعة المعبود، والولاء المحض لمن تجب له الولاية، والبراءة من الأضداد لقوله تعالى ﴿ **لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَومِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**﴾[2]، فالالتزام بالحدود هو طاعة الله سبحانه وتوحيده، وهو الكمال الثانى"[3].

وقد بنى نظام الدعوة الإسماعيلية على أسس عقيدتهم، فأقرت الإسماعيلية بوحدانية الله تعالى وكماله عن أى نقص، ولكنهم ذكروا أن خلق العالم يجب أن يكون من تام فى ذاته ناقص فى فعله، لأن خلق العالم ناقص يحتاج فى الفعل إلى معاونة الغير، والتام فى ذاته الناقص فى فعله مسبوق التام فى الذات والفعل الذى هو أعلى مرتبة منه وأقدم وهو الموجود الأول. وبذلك فقد ذكروا أن هذا الموجود الأول أو العقل الأول نتج عنه العقل الثانى القائم بالفعل والعقل القائم بالقوة وهو الهيولى والصورة. و جعلوا عالم الصنعة النبوية مطابقاً للصنعة

---

[1] محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، النهضة المصرية، 1959، ص130:132.

[2] سورة المجادلة/22.

[3] إبراهيم بن الحسين الحامدى: كنز الولد، تحقيق مصطفى غالب، دار النشر فارنز شتاينر بفيسبادون، ج24 من سلسة النشرات الإسلامية، 1971، ص279.

الإلهية، فالناطق "الرسول ﷺ" فى عالم الشرع والوضع أصلاً إليه ينتهى الكل من الحدود، وذلك مطابق للموجود الأول -ومثل القائم بالفعل مثل الأساس- وبذلك يكون الناطق أصلاً أولاً وجد عنه الكتاب "الإمام القائم بالقوة" والأساس "الإمام القائم بالفعل"، والأساس هو الإمام على (رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ) الجامع للحدود القائم بحفظ الشريعة وبسط معالمها والدعوة إلى العلم والعمل بها[1]، وبذلك فالمذهب الإسماعيلى يخص الناطق "النبى (ﷺ)" بالتفسير الظاهرى، فقد أُنزل على محمد (ﷺ) بلفظه ومعناه الظاهر، واختصوا الإمام على والأئمة بعده بالتأويل الباطنى، ومن أسس العقيدة الإسماعيلية الاعتقاد بمبدأى الظاهر والباطن معاً، فمنهما يتألف الدين[2]، وذكر القاضى النعمان بن حيون فى ذلك "أنه لابد لكل محسوس من ظاهر وباطن، فظاهره ما تقع الحواس عليه، وباطنه ما يحويه ويحيط العلم به بأنه فيه، وظاهره مشتمل عليه وهو زوجه وقرينه[3]".

وكما جعل الله الأساس بعد الناطق ليقوم مقامه، أمر الأساس بتعيين حجة له، ويستمد الحجة علمه من الإمام، ويأخذ عنه التأويل، فهو مثل القمر الذى يستمد نوره من الشمس التى هى الإمام[4]، والإمام والحجة يتعاقبان تعاقب الليل والنهار وهما أيضاً فى أمثالهما" فمثل النهار الإمام وقيامه بالظاهر، ومثل الليل الحجة وستره للباطن وكتمانه، وفى ذلك قول الله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين "وقد ذكرنا أن آيات الله فى الباطن حججه على خلقه وهم الأئمة الذين افترض عليهم طاعتهم[5]".

---

(1) أحمد حميد الدين الكرمانى: راحة العقل،تقديم وتحقيق محمد كامل حسين، محمد مصطفى حلمى، دار الفكر العربى، القاهرة، 1952، ص ص63:68.

(2) الداعى الإسماعيلى الأجل النعمان بن حيون التميمى المغربى قاضى قضاة الدولة الفاطمية (ت 363هـ): أساس التأويل، تحقيق عارف تامر، بيروت، منشورات دار الثقافة، سلسلة المخطوطات العربية(2)، 1960، ص 40، 41. مصطفى غالب: الحركات الباطنية فى الإسلام، بيروت، دار الكتاب العربى، (د. ت)، ص93،94.

(3) النعمان بن حيون: أساس التأويل ، ص28.

(4) النعمان بن حيون: المصدر نفسه ، ص43.

(5) النعمان بن حيون: أساس التأويل ، ص51،52.

وأخذ الإسماعيلية نظام الدعوة من نظام دورة الفلك وتقسيم السنة إلى شهور وأيام وساعات، فالسنة اثنى عشر شهراً والشهر ثلاثون يوماً واليوم أربعة وعشرون ساعة، منها اثنتى عشرة بالنهار واثنتى عشرة بالليل، فالسنة مثل الأئمة منذ على رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والاثنى عشر شهراً مثل رؤساء الدعوة فى الجزائر[1] ويسمون حجج الجزائر، ولكل من هؤلاء الحجج ثلاثون داعياً أو نقيباً مأذوناً على مثال أيام الشهر، ولكل داع من هؤلاء الدعاة أربعة وعشرون داعياً مأذوناً أو مكاسراً على عدد ساعات الليل والنهار، وهؤلاء يتصلون بالمستجيبين[2]، وفى ذلك يذكر إبراهيم بن الحسين الحامدى: "ففى العالم الروحانى سبعة أملاك لإنشاء المواليد واثنا عشر، ويقابلهم فى عالم الدين النطقاء السبعة والأوصياء السبعة، والأئمة السبعة والاثنا عشر حجة فى كل جزيرة لكل قائم[3]"، والإسماعيلية يؤولون عددى السبعة والاثنا عشر تأويلات كثيرة، فيذكرون عن دلائل السبعة أن فى الأرض الأقاليم السبعة، وخلق الإنسان من سبعة أشياء، وأجزاء جسمه سبعة وغير ذلك، وعن الاثنى عشر أن عدد حروف الشهادة اثنا عشر والبروج فى السماء اثنا عشر، والجزائر اثنا عشر، والملائكة الرسل أولى الأجنحة اثنا عشر [4]، وقد تأثرت الإسماعيلية بذلك من "الأفلاطونية الحديثة" و"الفيثاغورية الحديثة" التى هى مبنية فى كل تفاصيلها على العدد سبعة، فهناك سبع فترات للأنبياء (آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ومحمد بن إسماعيل) وقد بدأ الدور السابع على يد إسماعيل الذى تنسب إليه الفرقة الإسماعيلية[5]، كما أن أدوار الأئمة سبعة بعد

---

[1] الجزائر هى أقاليم الدعوة الإسماعيلية الخارجية.

[2] محمد كامل حسين: فى آداب مصر الفاطمية ،ط1، دار الفكر العربى، 1955، ص38،39. عبد المنعم ماجد: الإمام المستنصر بالله الفاطمى، مكتبة الأنجلو المصرية، 1960، ص55.

[3] إبراهيم بن الحسين الحامدى: كنز الولد، ص276.

[4] النعمان بن حيون: المصدر نفسه ، ص44:446.

[5] إدوارد جرانفيل براون: تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى، نقله إلى العربية إبراهيم أمين الشواربى، مصر، مطبعة السعادة، 1954، ص243.

الناطق وهو محمد (ﷺ) وتنتهى بإسماعيل بن جعفر الصادق ويليه فى الدور الثانى محمد بن إسماعيل[1].

وبذلك يمكن حساب عدد الدعاة الذين بثهم الإسماعيلية للدعوة بحوالى 8640 داعياً فى وقت واحد، ذلك بالإضافة إلى الدعاة المكونين مركز قيادة الدعوة مع الإمام، وهم الحجة والباب وداعى الدعاة وداعى البلاغ، ويعرفون بالدعاة الأربع الحرم[2].

ترتيب الدعاة:

وتحدث حميد الدين الكرمانى داعية الحاكم بأمر الله عن مراتب الدعوة فى مواضع كثيرة من كتابه "راحة العقل"، فيذكر أن مراتب الحدود المؤثرة فى النفس عشرة، منها ثلاثة كلية وسبعة تابعة. فالثلاثة الكلية هى " الرسالة" التى تتضمن قوانين العبادة العملية والشريعة، ثم " الوصاية" وهى تأسيس قوانين العبادة العملية الباطنية بالتأويل، ثم "الإمامة" التى هى الأمر وسياسة الأمة كافة على سنن الدين. والسبعة التابعة هى: أولاً: فصل الخطاب الذى يتعلق بالباب. وثانياً: الحكم فى ترتيب المراتب وارتضاء الاعتقادات بما يناسب الناس، وإظهار تأويل الكتاب للحجة. وثالثاً: إثبات بالبرهان الحدود العلوية ومراتبها، وتعريف ميعاد البلاغ. ورابعاً: تعليم العبادة العملية ونشر التأويل وتعريف الحدود وذلك يتعلق بالداعى المطلق. وخامساً: تعليم مراسم العبادة العملية، وتعريف الحدود السفلية وأدوارها صغاراً وكباراً، وذلك يتعلق بالداعى المحصور. وسادساً: أخذ العهد والميثاق وتعريف رسوم وآداب الدين الذى يتعلق بالمأذون المطلق.سابعاً: المكاسرة والهداية إلى الحق الذى يتعلق بالمأذون المحصور -وكل مرتبة مالكة لما دونها، ولا يجوز العكس- ويذكر مراتب الدعوة بالترتيب الآتى (الناطق، الأساس، الإمام، الباب، الحجة، داعى البلاغ، الداعى الناطق، الداعى المحصور، المأذون المطلق، المأذون المحصور، المكاسر).وقد حدد مراتب كل منهم كالآتى: الناطق وهو "النبى محمد (ﷺ)" رتبة التنزيل، الأساس وهو الوصى "على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" رتبة التأويل، الإمام رتبة الأمر، الباب رتبة فصل الخطاب " الذى هو الملك"، الحجة رتبة الحكم فيما كان حقاً أو باطلاً، داعى البلاغ رتبة الاحتجاج وتعريف

---

[1] على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، ج2، دار المعارف،1981، ص300.

[2] مصطفى غالب: الحركات الباطنية فى الإسلام، ص121.

المعاد، الداعى المطلق رتبة تعريف الحدود العلوية والحدود الباطنية، الداعى المحدود رتبة تعريف الحدود السفلية والعبادة الظاهرة، المأذون المطلق رتبة أخذ العهد والميثاق، المأذون المحدود الذى هو المكاسر رتبة جذب الأنفس المستجيبة[1].

ويطابقون بين مراتب الدعوة وبروج الأفلاك، ويوضح ذلك الداعى على بن محمد بن الوليد فى رسالته "جلاء العقول وزبدة المحصول": "ففلك زحل مثل مرتبة الإمام القائم بعد النبى والوصى، وفلك المشترى مثل مرتبة الباب القائم بين يدى الإمام لفصل الخطاب، وهى مرتبة سرية، ويليه فلك المريخ وهو مثل مرتبة الحجة، ويليه فلك الشمس وهو مثل مرتبة داعى البلاغ "القائم عن أمر الحجة فى أهل دعوته بالإبلاغ"، ويليه فلك الزهرة وهو مثل مرتبة الداعى المطلق وهو الذى يقوم بإبلاغ أمر داعى البلاغ ويحققه، ويليه فلك عطارد وهو مثل مرتبة داعى الإحرام المنفذ لما يأمر به الداعى المطلق من القضايا والأحكام، ويليه فلك القمر وهو مثل مرتبة المأذون المطلق فى نشر ما علم من علم داعى الإحرام وحقق، ويلى فلك القمر الطبيعة السارية فى عالم الكون الفساد، وهى مثال على مرتبة المكاسر المقام فى أهل الظاهر بالجهاد، السارى فيهم للأرقاء لمن قبل منهم[2].

ويتضح من ذلك أن الدعوة عدة دعوات متدرجة عددها سبع أو تسع دعوات، تتسم بالسرية خوفاً من اختلاطها أو التغيير فيها[3]، ولكل فئة من الدعاة عمل خاص به لا يتعداه إمعاناً فى سرية الدعوة وحفظاً لنظامها، فدعاة النهار الاثنى عشر فى كل جزيرة كانوا يعرفون "بالمكاسرين أو المكالبين"، وهم أصغر درجة من درجات الدعاة، وقد كان الداعى المكاسر يختار اختياراً خاصاً، ولا يسمح له بالمكاسرة إلا بعد امتحان عسير وتجارب كثيرة، وقد ورد فى بعض الكتب الإسماعيلية الشروط الواجب توافرها فى اختيار الداعى المكاسر، من ذلك أنه يجب أن يكون من نفس البيئة التى سيدعو بها حتى يكون معروفاً عند الجمهور، ويجب أن يكون حسيباً ونسيباً بين قومه ليكسبه ذلك بعض الاحترام، وأن يكون معروفاً بالصدق

---

(1) أحمد حميد الدين الكرمانى: راحة العقل، ص134،130،138.

(2) سيدنا علي بن محمد بن الوليد: الرسالة الموسومة " جلاء العقول وزبدة المحصول"، ضمن كتاب منتخبات إسماعيلية ، تحقيق عادل العوا، دمشق، مطبعة الجامعة السعدية، 1378هـ/ 1985م، ص112، 111.

(3) عبد المنعم ماجد: الإمام المستنصر بالله الفاطمى، ص61.

والأمانة والتقى والورع ، فإذا وثق داعى الجزيرة فى شخص به كل هذه الصفات بدأ فى تعليمه العلوم الإسلامية حتى يتبحر فيها، ثم يعلمه آراء المذاهب والفرق المختلفة، ويبرز له مواطن الضعف فى كل مذهب، وكيفية مناقشة أصحابها[1].

فينبغى على الداعى أن يكون فطناً ذكياً صحيح الحدس صادق الفراسة، فهو يميز بين الشخص الذى يمكن أن يستدرجه فى الدعوة وبين الراسخ فى العقيدة الذى يقطع طمعه منه، وهو ذكى الخاطر فى تعبير الظواهر وردها إلى البواطن، وهو يبحث فى معتقد كل شخص وطباعه ومذهبه ويدعوه بما يناسبه، فإن كان زاهداً دعاه إلى الزهد، وإن كان من أهل الدنيا دعاه إلى اتباع لذاتها، وإن كان من أهل الذمة حاوره بما يضاهى مذهبه، وخاصة أن الإسماعيلية جامعة لغالبية معتقدات وفلسفات عصرها، فيختار الداعى من ذلك شئ ليسهل عليه مخاطبة تلك الفرق[2]، وبالإضافة إلى معرفة الداعى الشيعى للفرق والمذاهب الإسلامية فهو ملم بديانات البلدان التى يدعو بها، وملم بلغاتهم، وله قدرة على الجدل والتفلسف. وهو يبدأ فى دعوتهم بإثباته أن الأديان كلها معانيها متقاربة ودعوتها واحدة، وأن الناس لا علم لهم بذلك لعلمهم بالظاهر دون الباطن، ويبدو فى ذلك التأثر بالتصوف الإسلامى[3].

وينبغى أن يكون الداعى قد بلغ حد الأربعين، ولا يجوز لمن هو دون ذلك أن يمارس الدعوة والوعظ. ولا يجوز له أن يفاتح المستجيب بشىء إلا بحضور جماعة من المؤمنين يشهدون له بالأهلية والاستحقاق، وعلى الأقل شاهدين ونقيب، وينبغى أن يكون النقيب قد

---

(1) محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، ص134.

(2) عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى الاسفرائينى (ت429هـ-1037م): الفرق بين الفرق،ط1، بيروت، دار الكتب العلمية،1985، ص225:227. أبو حامد الغزالى: فضائح الباطنية،القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، 1964،ص ص21:24 .

(3) محمد بن مالك بن أبى الفضائل الحمادى اليمانى (من فقهاء السنة فى اليمن فى أواسط المائة الخامسة للهجرة): كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، تقديم وتعليق محمد زاهد بن الحسن الكوثرى،نشره وصححه عزت العطار، مطبعة الأنوار، 1939، المقدمة، ص8.

بلغ حد الأربعين، ويكون " لين القول ، حسن الصورة، رحب الصدر، لطيف التدبير ، فصيح المنطق[1]".

ويذكر النعمان بن محمد فى كتابه "الهمة فى آداب اتباع الأئمة" ما يجب أن يتحلى به الداعى من الصلاح والتقوى، لأنه إذا عمل صالحاً علم الناس أنه من أهل الخير فيدخلوا فى دعوته، وينسبوا فى ذلك قول لجعفر الصادق لكافة شيعته ممن لم تطلق لهم الدعوة "كونوا له دعاة صامتين"، وكما يذكر النعمان أن على الداعى العلم فى باب السياسات والرياضات، ليميز أحوال الناس وطاقاتهم وقوتهم ليدعو كل واحد بما يستجيب له. وعلى الداعى أن يكون حسن النية، صحيح الاعتقاد، دقيق التفكير ليزداد شرفه بين الناس، وليستطيع استمالة الأشراف فى الدعوة بما يظهره من فعله وعلمه. وعليه أن يكون مهاباً عند أهل دعوته مع خفض الجناح وحسن العشرة، وللداعى سلطة تأديب الخارجين والمذنبين كل حسب قدر ذنبه، فيقصى بعضهم ويأمر المؤمنين بهجره، أو يمتحنه فى ماله، أو يوبخه أمام قومه أو فى الخلاء، أو يأمر بجلده أو قتله، ويمتحن أقرب الناس إليه بذلك فيأمر الأخ أن يقتل أخيه، ولا يهمل فى شأن المخالفين حتى لا يستفحل أمرهم، وقد نسبوا فى ذلك قول إلى على رضى الله عنه أن الله جل ذكره أدب هذه الأمة بالسيف والسوط ليس عند الإمام فيهما هوادة[2]".

ودور الداعى المكاسر أن يشكك الناس فى عقيدتهم، بسؤال الفقهاء فى مشكلات الدين ومتشابهه لبيان عجزهم عن الإجابة للتشكيك فى علمهم، ولجذب ضعاف النفوس إلى التوجه إليه لسؤاله فيبدأ فى استدراجهم فى الدعوة[3]، وقد سمى أيضاً بالداعى المكلب لأنه

---

(1) شمس الدين بن أحمد الطيبى: رسالة الدستور ودعوة المؤمنين إلى الحضور، تحقيق عارف تامر، نشرت فى كتاب "أربعة رسائل إسماعيلية"، ص53.

(2) القاضى النعمان بن محمد المغربى: الهمة فى آداب إتباع الأئمة، تحقيق ونشر محمد كامل حسين، (3) من سلسلة مخطوطات الفاطميين، دار الفكر العربى، (د. ت)، ص ص136:139.

(3) أبو المظفر الاسفراييني (ت471هـ): التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تعريف وتعليق محمد زاهد الكوثرى، مطبعة الأنوار،1940، ص86،87.

مثل الجوارح يحبس الصيد على كلب الصيد ، والداعى المكلب ارتفعت درجته فى الدين ولكن لم يؤذن له بالدعوة، وإن سمح له بالاحتجاج والترغيب[1].

ومن حيل الدعاة الأخرى حيلة "التأنيس"، وهى أن يوافق من يدعوهم بنفس أفعالهم واعتقادهم حتى يأنسوا إليه، وذلك بمصاحبتهم أو المبيت كل ليلة عند واحد من المستجيبين، ويجتذبهم بقراءة القرآن بصوت طيب، ويتبعه بالوعظ والاجتهاد فى العبادات حتى يعتقد المستجيب بصدق إيمانه وينجذب إليه[2].

ويلى حيلة "التأنيس" حيلة "التشكيك"، فبعد أن يزين الداعى للمستجيب مذهبه يجتهد فى تشكيكه فى عقيدته، وذلك بسؤاله عن الحكمة فى مقررات الشرائع، وغوامض المسائل، والمتشابه من الآيات، مثل ما معنى "الر" و"كهيعص" وغير ذلك، فيتخيل أن وراء ذلك أسرار لا يطلع عليها إلا الأئمة الراسخون فى العلم، فيتشوق لمعرفة ما سد عنه[3]، عندئذٍ يأخذه الداعى المكاسر إلى أحد الدعاة الأعلى منه فى الرتبة، ويصفه للمستجيب أنه العالم الحبر الذى ستزول شكوكه على يديه لغزارة علمه، ويأخذ ذلك الداعى فى ملاطفته حتى يأنس له، ويكتفى بأن يفسر له بعض المسائل المذهبية تفسيراً أقرب إلى آراء أهل الجماعة، ويلوح له ببعض التأويلات الباطنية التى لا ضير من كشفها، وذلك دون أن يكشف له حقيقة مذهبه[4].

ويلى ذلك حيلة "التعليق"، فبعد أن يثير الداعى الشكوك فى نفس المستجيب يتركه معلقاً ولا يكشف له شيئاً، ويهول له الأمر ويعظمه فى نفسه، فإذا رآه استهان به وأعرض عنه تركه، وإن رآه متعطشاً إليه وعده فى وقت معين، وأمره بتقديم الصلاة والصوم والتوبة قبله، لتعظيم ذلك الأمر عنده، فإذا جاء الموعد أخذ منه المواثيق الغليظة بكتمان الأمر، وذلك هو

---

(1) شمس الدين محمد بن يوسف الكرمانى ت786هـ/1374-1375م: الفرق الإسلامية (ذيل كتاب شرح المواقف للكرمانى)، تحقيق سلمية عبد الرسول، بغداد مطبعة الإرشاد، 1973، ص51.

(2) الغزالى: فضائح الباطنية، ص24.

(3) عبد القاهر البغدادى: الفرق بين الفرق، ص228. الغزالى: المصدر نفسه ، ص25.

(4) محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، ص138.

"الربط"[1]، والذى يأخذ من المستجيب العهود والمواثيق الداعى المأذون، وهو من دعاة الليل[2].

ومن ينقض ذلك الميثاق يحرم عليه ما أحل الله له من النكاح والمكاسب والمطاعم والملابس والمشارب، ويلزم عليه التصدق بماله وعتق عبيده، ويفى بما أوجبه من نذر على نفسه، وإن لم يف يقع فى الحرام، وينحل من جماعة المؤمنين[3].

وذلك العهد أو الميثاق هو ما يميز تعليم الشيعة، فهو ليس حصيلة نظام مؤسسى للمعرفة، ولكنه يتميز بطبيعة شاملة، فهو ميثاق عملى للتعلم، مما يؤثر فى تلقين الطالب طريقة حياة وأسلوب فى التفكير ونظرة خارجية على العالم، وهذه المؤسسة التعليمية للشيعة بالإضافة إلى تشكيلها للشخصية إلا إنها أيضاً تطلقهم بعيداً عن جماعتهم وتشكلهم فى قوة روحية فريدة[4].

فالمستجيب بذلك يتدرج فى مراتب الدعوة من مرحلة التشكيك فى عقيدته، ثم الاعتقاد فى الأئمة وأنهم وحدهم أصحاب العلم الحقيقى الباطنى، فالإيمان بإمامة محمد بن إسماعيل، وأنه العليم ببواطن الأمور، وعنده علم الظاهر وعلم التأويل، ودعاته هم الوارثون لذلك كله لأنهم أخذوا عنه ومن جهته، وبذلك يكون المستجيب قد دخل فى الإسماعيلية. ويفسر له المذهب بالتدريج[5].

وحيلة "التدليس" حيلة أخرى من حيل دعاتهم، فبعد أن يأخذ الداعى العهد على المستجيب لا يبث إليه الأسرار دفعة ، ولكن يتدرج فيها، ويراعى عدة أمور: أولاً: يقتصر فى أول وهلة على ذكر قاعدة المذهب وهى أن أئمة أهل البيت فقط هم العالمون بأصول الدين،

---

(1) الغزالى: فضائح الباطنية ، ص ص26: 29.

(2) محمد كامل حسين: المرجع نفسه، ص138.

(3) النعمان بن محمد: الهمة فى آداب إتباع الأئمة، ص49،48.

(4) Seyyed Hossein Nasr, Hamid Dabashi, Seyyed Vali Reza Nasr,Shiism (Doctrines,Thought,and Spirituality), State University of New Press, 1988, p.281.

(5) تقى الدين أبى العباس أحمد بن على المقريزى (ت845هـ) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ج1، بيروت، دار صادر، (د.ت)، ص ص391: 393.

ولذا لا يجب أخذ العلم عن غيرهم، وثانياً: يحتال لإبطال ظواهر القرآن والسنة فى مقابل التأويل الباطنى لهما، وهو بذلك يزعزع أسس العقيدة، وثالثاً: ألا يظهر مخالفته للأمة، ويستتر بحب آل البيت، ورابعاً: تقديم العقل على النقل، وخامساً: يسر إليه أن فلان وفلان . من الأفاضل الذين يعتقد فيهم المستجيب، من أتباع هذا المذهب، وليكن هؤلاء بعيدين عن نفس البلد حتى لا يتيسر له مراجعتهم، وذلك لتعظيم الأمر فى نفسه، سادساً: أن يمنيه بعلو أمرهم ونصرهم، وبلوغ كل منهم مراده حتى تجتمع لهم سعادة الدارين، سابعاً: لا تطول إقامة الداعى فى بلد واحد، حتى لا يشتهر أمره ويسفك دمه، فيتنقل فى البلاد بعد أن يغير هيئته واسمه ليحتاط لنفسه[1]، وبعد أن يثق به يبدأ فى مكاشفته ببعض الأسرار الخفيفة التى لا ينفر منها مؤمن، ويتدرج به من مسألة إلى أخرى حتى يطمئن إليه تماماً، فينقله إلى داعى أعلى منه فى المرتبة، فيبدأ فى التصريح له بأسرار أشد تعقيداً. وهكذا يتدرج المستجيب بين الدعاة حتى يسمح له بحضور مجالس داعى دعاة الجزيرة وهو كبير دعاتهم الذى له وحده حق تعليم الناس التأويلات الباطنية، كما يعلم الدعاة فلسفة الدعوة المذهبية، فإذا سمح للمستجيب بذلك فقد هيأ نفسه أن يكون داعياً[2].

وورد فى رسالة " الدستور ودعوة المؤمنين إلى الحضور"، لمؤلفها "شمس الدين بن أحمد بن يعقوب الطيبى"، وهو من دعاة الإسماعيلية فى عهد الإمام علاء الدين محمد، وقد ذكر أنه سمعها من نصير الدين الطوسى (ت673هـ)، الشروط التى لابد من توافرها فى المستجيب، وهى أن يكون بالغاً عاقلاً راشداً، ولا يكون صاحب عاهة ظاهرة فى جسده، حسن الأخلاق، متمسك بحدود الدين، صادق النية بتحصيل المعرفة، والإخلاص فى الإلتزام، ويجرى له امتحان قبل أن يؤخذ عليه العهد، لينكشف دينه ومذهبه الذى تربى عليه، فإذا عرف عنه السداد والرشاد والصلاح وحب آل البيت يمتحن بترك المطلوبات الجسمانية ومجاهدة النفس والمال فى سبيل العقيدة، فإن نجح فى ذلك كله يؤمر بالاغتسال والتطيب،

---

[1] الغزالى: فضائح الباطنية، ص ص29:32.

[2] محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، ص138.

وتطهير ظاهره وباطنه من كل شبهه وشك، ويستسلم لجماعة المؤمنين كمن يريد أن يخرج من الظلمات إلى النور، ثم يؤخذ عليه العهد بحضور جماعة المؤمنين[1].

ومن أسباب نجاح الدعوة الإسماعيلية، مخاطبتهم الناس على قدر عقولهم، ونشرهم المذهب بين حديثى العهد بالإسلام وقلة بصيرتهم بالدين، أو بين المخالفين للدولة والحاقدين عليها، أو بين الطامعين للسلطة، أو الراغبين فى التميز عن العامة، أو بين الفلاسفة أو بين الناشئين بين الشيعة والروافض[2].

و"داعى الدعاة" هو القائم بأمر الدعوة، ويختاره الخليفة الفاطمى من دعاة الجزائر، ويكون عليه الإشراف على الدعوة فى جميع الجزائر، وهو الواسطة بين دعاة الجزائر والإمام، فداعى الدعاة لا يستتر، فهو معروف بين الدعاة جميعاً فى أدوار الستر والظهور[3]، وهو يتولى بتفويض من الخليفة، ولكن منذ سيطرة بدر الجمالى على الحكم أصبح لوزير التفويض سلطة داعى الدعاة، فهو يلقب "هادى دعاة المؤمنين"، فكان الوزير يقوم مقام الخليفة فى تقليد سجل التولية إلى نائب عنه يحمل لقب داعية، ويقوم فى نفس الوقت بولاية الدعوة كلها، ومع ذلك كان كتاب التولية يصدر من ديوان الإنشاء باسم الخليفة[4].

وكان داعى الدعاة يلى قاضى القضاة فى الرتبة ويلبس نفس لبسه، ويجب أن يكون عالماً بالمذهب الإسماعيلى. وهو يأخذ العهد على المستجيبين، وتحته اثنا عشر نقيباً يساعدوه فى أمور الدعوة، كما له نواب فى سائر البلاد، وهو يعقد مجالس الحكمة فيجتمع بالفقهاء فى "دار العلم" فى كل يومى اثنين وخميس، وهو يتلوه على الخليفة إن أمكن قبل قراءته على الناس ويأخذ علامته بظاهره، ويجلس بالقصر "بالمحول" لقراءته على المؤمنين، وقد كان الداعى يواصل الجلوس بالقصر لقراءة المجالس، وكان يفرد لكل جماعة مجلساً، فهو يعقد للأولياء

---

(1) شمس الدين بن أحمد الطيب: رسالة الدستور ودعوة المؤمنين إلى الحضور، ص ص 54:51.

(2) الغزالى: فضائح الباطنية ، ص 35.

(3) محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، ص140.

(4) السجلات المستنصرية (سجلات وتوقيعات وكتب مولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه إلى دعاة اليمن وغيرهم قدس الله أرواح جميع المؤمنين)، تقديم وتحقيق عبد المنعم ماجد، دار الفكر العربى،1954، ص106:109.عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين، ص182،183.

مجلس وللخاصة مجلس وشيوخ الدولة ومن يختص بالقصور من الخدم وغيرهم مجلس ولعوام الناس والطارئين على البلد مجلس، وللنساء فى الجامع الأزهر مجلس، وللحرم وخواص نساء القصر مجلس، وكان يجلس بالقصر على كرسى الدعوة فى الإيوان الكبير للرجال، وللنساء بمجلس الداعى وقد كان من أعظم المبانى وأوسعها، وإذا فرغ من تلاوته حضر المؤمنون والمؤمنات إليه لتقبيل يديه فيمسح على رؤوسهم بمكان علامة الخليفة[1].

وأسند إلى داعى الدعاة الإشراف على الدعوة الخارجية بالإضافة إلى الدعوة فى مصر، فكان عليه أن يعين الدعاة فى كل إقليم. وقد كان ميدان الدعوة ينقسم إلى "جزائر" جمع جزيرة، وهى كلمة فى الفترة الفاطمية كانت تطلق على أتباع الإسماعيلية فى الأقاليم البعيدة عن نفوذهم[2]، وقد قسم العالم إلى اثنى عشر جزيرة، على مثال الاثنى عشر شهراً، تبدو موزعة على أساس جغرافى أو جنسى، وهى العرب والترك والبربر والزنج والحبشة والخزر والصين وفارس والروم والسند والصقالبة[3]، وقد ذكر المستنصر فى سجلاته المستنصرية التى كان يرسلها إلى ملوك الدولة الصليحية جزيرة اليمن وما انضاف إليها من جزائر الهند وعمان[4].

وكان على الداعى أن يأخذ "النجوى" من أتباع الدعوة بالقاهرة ومصر وأعمالها وخاصة الصعيد، ومبلغها ثلاثة دراهم وثلث، فيجتمع من ذلك شىء كثير يحمله إلى الخليفة، فيفرض له الخليفة ما يعينه لنفسه وللنقباء، ويدفع أغنياء الإسماعيلية ثلاثة وثلاثين ديناراً، فيصدر لهم من الخليفة رقعة كتب عليها "بارك الله فيك وفى مالك وولدك ودينك" فيدخر ذلك ويتفاخر به ويتميز بها فى المحول -وقد كان يُكتب أسماء كل من يدفع[5]- ويدفع الداخلون فى

---

(1) المقريزى: الخطط المقريزية، ج1، ص390.

(2) عبد المنعم ماجد: المرجع نفسه، ص183.

(3) عبد المنعم ماجد: الإمام المستنصر بالله الفاطمى، ص55.

(4) عماد الدين إدريس: السبع السابع من عيون الأخبار وفنون الآثار،، حققه وقدم له ووضع فهارسه د.أيمن فؤاد سيد، لندن، معهد الدراسات الإسماعيلية،2002، ص151.

(5) المقريزى: الخطط المقريزية ، ج1، ص390.

المذهب الشيعى "النجوى" وهى تعنى "السر"، وهى دليل مادى على قبول الأتباع التستر على عقائد الفاطميين[1].

فمن مهام داعى الدعاة أن يقبض ما يحمله أصحاب الدعوة من الزكاة والجزية والخمس والقربان وغيرها، ويثبت ذلك كاتب الدعوة، ويحمله إلى أمير المؤمنين[2]، والزكاة واجب على كل مسلم، لقول الله تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾ التوبة: ١٠٣ [3]، ففى ذلك أمر للرسول (ﷺ) أن يقبض الزكاة من المسلمين، وقد أوكل الشيعة هذا الأمر للأئمة من بعده، وفى رأيهم من منع الزكاة عن غيرهم فهو مصيب. أما الخمس فقد أوجب الله على المؤمنين دفعها لقوله تعالى ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ﴾ الأنفال: ٤١ [4]، فعلى المؤمنين دفعه للأئمة، وإن لم يلزم الأئمة بجبايته، وتركه للمؤمنين امتحاناً لطاعتهم[5]، وهناك ضريبة الفطرة، وهى تدفع فى عيد الفطر[6].

وورد فى السجلات المستنصرية ذكر "النجوى" ففى السجل الذى أرسله المستنصر إلى الملك المكرم يلومه فيه على تأخر إرساله للزكاة و الفطر والنجاوى والأعمال، ويطالبه بإرسالها، وقد كتب السجل فى ذى القعدة سنة 468هـ[7]، وفى سجل آخر يطمئن المستنصر الحرة الملكة على وصول القرابين والزكاة والنجاوى والأعمال التى أرسلتها إليه على يد الشيخ أبو نصر، ويذكر أنها حملت جميعاً إلى بيت المال، وقد كتب ذلك السجل فى شهر ربيع الأول

---

(1) محمد بن مالك بن أبى الفضائل: كشف أسرار الباطنية، ص13. عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين، ص188.

(2) القلقشندى "أبى العباس أحمد بن على" ت821هـ/1418م: صبح الأعشى فى صناعة الانشا، ج10، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، المؤسسة المصرية العامة، سلسلة "تراثنا"، (د.ت)، ص438.

(3) التوبة /103.

(4) الأنفال /41.

(5) النعمان بن محمد: الهمة فى آداب إتباع الأئمة، ص70.

(6) عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين، ص188.

(7) السجلات المستنصرية، ص88. سجل رقم 57.

سنة 480هـ[1]، وفى سجل آخر يقبل المستنصر عذر تأخير النجاوى لحين اكتمال جمعها، ولكنه يحثه على الاهتمام بعدم تأخيرها، وقد كتب ذلك السجل فى العشر الأواخر من ذى القعدة سنة 481هـ[2].

ومع مرتبة داعى الدعاة كانت هناك مرتبة "الحجة"، ويقال لصاحبها "حجة الإمام" وكان الإمام أحياناً يولى مرتبة داعى الدعاة ومرتبة الحجة لشخص واحد، فقد كان المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى ت 470هـ داعياً للدعاة وحجة فى نفس الوقت، وفى أحيان أخرى يجعل لكل مرتبة شخص، وفى هذه الحالة يستر اسم الحجة، فلا يعرفه أحد حتى داعى الدعاة، فهى مرتبة سرية، ولذا لا يُعلم إلا أفراد قلائل ممن شغلوا هذه المرتبة[3]، ومن ألقاب الحجة القائم، المنتظر، صاحب الدار وعبد الصالح الحجة، بقية الله والخلف الصالح، قاطع البرهان صاحب الزمان، صاحب العصر، صاحب الأمر، صاحب الغيبة[4].

ومن المراتب السرية الأخرى مرتبة "باب الأبواب"، وهى مرتبة رفيعة تلى الإمام مباشرة، ولا يعرف صاحبها إلا الإمام فقط، فلم يعلم أسماء شاغليها أو وظيفتهم، ولم يرد عنها شيء إلا ما ذكره حميد الدين الكرمانى فى "راحة العقل" "الباب رتبة فصل الخطاب الذى هو الملك"، وكذلك مرتبة "داعى البلاغ من المراتب السرية" التى ذكر عنها "مرتبة الاحتجاج بالبرهان فى إثبات الحدود العلوية ومراتبها وتعريف المعاد"، وبذلك كان كبار الدعاة الملازمين لمقر الإمام باب الأبواب والحجة وداعى البلاغ وداعى الدعاة[5].

---

(1) المصدر نفسه ، ص122. سجل رقم 36.

(2) المصدر نفسه ، ص84. سجل رقم 23.

(3) محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، ص140،141.

(4) الأعلمى: دائرة المعارف، ج4، مج2، ص279.

(5) أحمد حميد الدين الكرمانى: راحة العقل، ص138. محمد كامل حسين: المرجع نفسه ،ص ص142،143

ولقد كانت الدعوة نوعين دعوة ظاهرة تتعلق بشرح التشريع الشيعى أو تفسير القرآن والحديث[1]، وقد اتخذت هذه الدعوة صبغة رسمية منذ قامت الخلافة الفاطمية بالقاهرة، وانتظمت فى القصر الفاطمى وأحياناً كانت تلقى فى الجامع الأزهر، وكان يقوم بإلقاء هذه الدروس رجال الدعوة، فى أيام المعز والعزيز بنو النعمان، كما اشترك كبار رجال الدولة فيها مثل الوزير ابن كلس[2]، ولهذه المجالس مكان مخصص فى القصر الفاطمى هو دار العلم، تلقى به المحاضرات يومى الإثنين والخميس، وقد كانت هذه المحاضرات يعرضها داعى الدعاة قبل إلقائها على الخليفة فيقرها ويذيلها بإمضائه، وكان داعى الدعاة يقرأ على الناس فى المجلس من مصنفاته، فإذا فرغ أقبل عليه المستمعون فيمسح على رؤوسهم بالجزء الذى عليه إمضاء الخليفة[3]، وفى نهاية المجلس يأخذ العهد من المستجيبين، ويؤدى له المؤمنين النجوى من استطاع، وهى رسم اختيارى قدره ثلاثة دراهم وثلث، يجبى من المؤمنين للإنفاق على الدعوة[4]، وكان داعى الدعاة يدعو إلى مصر من بلاد الأعداء رجالاً معروفين لحضور مجالس الدعوة التى يلقيها بنفسه، لمحاولة جذبهم للعقيدة الإسماعيلية ليصبحوا دعاة فى بلدهم يخدموا مصالح الفاطميين[5].

غير أن هذه الدعوة الظاهرة كانت ستاراً وتمهيداً لدعوة أخرى سرية أحيطت بالسرية والكتمان، ويشرف عليها داعى الدعاة. ففى سجل أورده القلقشندى يبين فيه واجبات الداعى وطرق تلقين الدعوة "واتل مجالس الحكم التى تخرج إليك فى الحضرة على المؤمنين والمؤمنات والمستجيبين والمستجيبات فى قصور الخلافة الزاهرة والمسجد الجامع بالمعزية القاهرة، وصن أسرار الحِكم إلا عن أهلها، ولا تبدها إلا لمستحقها، ولا تكشف

---

(1) عبد المنعم ماجد:الإمام المستنصر بالله، ص58.

(2) عبد الله عنان: الحاكم بأمر الله، ص254.

(3) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون فى مصر (وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص)، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1932، ص142،143.

(4) القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الانشا، ج10، ص439. محمد عبد الله عنان: الحاكم بأمر الله ، ص255

(5) عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين، ج1، ص186.

للمستضعفين ما يعجزون عن تحمله"، فهو يشير فيها إلى نوعى الدعوة السرية والظاهرة، والحرص على تلقين الدعوة السرية للخاصة والمستنيرين، مؤكداً على أهمية التأويلات الباطنية فى الدعوة[1].

وفى كل جزيرة من جزائر الدعوة حجة، وهو المشرف على الدعوة فيه، وهو ينوب عن داعى الدعاة فى عقد مجالس الحكمة.فقد أورد الداعى عماد الدين إدريس أن الملكة الحرة قامت بالصلاة على الإمام الطيب ابن الآمر بأحكام الله الفاطمى والدعوة له عقب وفاة الآمر عند قراءتها " مجالس الحكمة الشريفة[2]".

ترتيب الدعوة المستعلية الطيبية:

كان للدعوة المستعلية الطيبية فى اليمن طابعاً خاصاً يميزها عن الدعوة الإسماعيلية قبل قيام الدولة الفاطمية، وعن نظم الدعوة الفاطمية فى مصر، وذلك لاختلاف ظروف الزمان والمكان. وقد كان يتولى رئاسة الدعوة الطيبية فى اليمن "الداعى المطلق" ويتولى بالنص من الداعى السابق له، وينوب عن الإمام المستور من ولد الطيب، وفى ذلك يحدد جعفر بن منصور اليمن أبعاد الدعوة الفاطمية حينما يكون الإمام مستوراً -وذلك أثناء حديثه عن سيرة والده ابن حوشب- يقول : "إذا وقع استتار الإمام لم تكن دعوته بمعدومة ولو فى جزيرة من الجزائر، بأمره أو بأمر الناس عليه والمشير إليه فهو موجود بوجود حدوده الذين يدلون عليه ويدعون إليه ويقيمون مناسك دعوته من فروضها وسننها وحلالها وحرامها، وظهور دعوته وإقامتها بوجود ثلاثة مراتب: الداعى المطلق والمأذون المطلق والمحدود. فأما الأبواب والحجج ودعاة البلاغ فلا يفارقونه من وراء سجف الأستار" وأصبح هذا التنظيم الذى رسمه جعفر بن منصور اليمن هو الدستور الذى نهجه الدعاة الفاطميين فى اليمن ثم فى الهند ومازال متبعاً حتى الآن[3]، ويذكر الداعى إبراهيم بن الحسين الحامدى (ت557هـ/ 1162م) - وهو الداعى الثانى من الدعاة الطيبين فى اليمن- عن حال الدعوة فى حالة

---

(1) القلقشندى: المصدر نفسه، ج10، ص437.

(2) الداعى عماد الدين إدريس: السبع السابع من عيون الأخبار فى فنون الآثار، ص257.

(3) الخربوطلى: عماد الدين إدريس، ص59، 62، 63.

استتار الإمام "وإذا استتر الإمام دل على وجوده ثلاثة حدود للدين المأذون المحصور والمأذون المطلق والداعى المطلق، فالإمام موجود بوجود هؤلاء الثلاثة فإن عدموا عدم وجود الإمام كذلك[1]".

ويأتى بعده "المأذون المطلق" وهو الذى يأذن له الداعى بالقيام ببعض واجبات الدعوة، ويأتى بعده "الداعى المحدود" ويعتبر مسئول أمام الداعى المطلق عن شئون الدعوة فى منطقة معينة يحددها له الداعى -ويرى الدعاة وجوب طاعتهم، إذ أن طاعة الدعاة هى من طاعة الأئمة، فالداعى فى دور الستر يقوم مقام الإمام- وفى ذلك يذكر الداعى الفاطمى طيب زين الدين فى رسالة له، نشرت فى كتاب المشرب الكوثرى للداعى الفاطمى طاهر سيف الدين رئيس طائفة البهرة، "طبع بالهند سنة 1340هـ" عرفتم بحمد الله إمام دهركم حياً، ويضر الله لكم بمعرفة وجهه المحيا، إذا قام فيكم لما استتر فى كهف التقية دعاة يثبتون رشداً ويمحون غياً فعرفتهم إمام عصركم بمعرفتهم وتقلدتم بيعته ببيعتهم واعتصمتم بعروته الوثقى بالاعتصام بعروتهم، وآمنتم من تخطف الشبهات لإياكم إذا دخلتم الحرم الآمن من دعوتهم، واعلموا أن طاعة الإمام لا تصح إلا بطاعتهم، وأن معصيته لأمراً فى معصيتهم وأن مرضاته فى مرضاتهم وسخطته فى سخطتهم وأن تعظيمهم حرمتهم وشكر نعمته فى شكر نعمتهم.

وأنهم يقومون فى دور الستر مقام الإمام، ويلزمهم ما يلزمه من الأحكام، ويجب لهم ما يجب له على الأنام، وإذا أقامهم لمقامه حجبه، وأعطاهم شأناً من شئون الوحدة عجباً وجعلهم لفيضه القدسى سجباً ، ولحراسة أمره الأزلى شهباً وأسنى لهم بتخصيصهم لغياته رتباً، ووصل لهم بسببه باتصال نظرات تأييده إليهم سبباً، فهو سلام الله عليه بنظر التأييد فى كل حين إليهم ناظر، ومن وراء الحجاب النورانى حاضر، وإنما هؤلاء الدعاة له بمنزلة الأدوات للصانع. وإنما هو مالك الملك المعطى من يشاء والمانع، يظهر لهم وعلى أيديهم من الأفعال ما يشاء وكما يشاء، وبيده الإبلاء والإنشاء، وبمشيئته تدبير جميع الأشياء".

---

[1] إبراهيم بن الحسين الحامدى: كنز الولد، ص276.

ويتضح من هذا النص للداعى الفاطمى الطيبى ما بثه الدعاة الطيبين بين أتباعهم أنهم ممثلين الإمام فى دور الستر والقائمين مقامه ولذا وجب على أتباعهم طاعتهم كطاعة الأئمة ولهم نفس سلطاتهم على أتباعهم[1]، وهذا أمر مستقر بقوة فى عقول المتمسكين فى الدين، لدرجة أنه لا يوجد أحد من البهرة يجرؤ على انتقاد أى تصرف أو فعل تم اتخاذه سواء كان صواب أو خطأ من قبل الداعى أو أحد مساعديه[2].

وإذا كان القاضى النعمان بن حيون قد ذكر فى كتابه "الهمة فى آداب إتباع الأئمة" ما يجب على المؤمنين من إتباع الأئمة وطاعتهم، إذا كان الله عز وجل تباركت وتقدست أسماؤه قد فرض طاعتهم على عباده فى كتابه وقرنها بطاعته وطاعة رسوله (ﷺ) فقال وهو أصدق القائلين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[3]، فينبغى لمن خصه الله ومنحه وأنعم عليه بالكون فى جملة من ذكرناه من طبقات أتباع الأئمة صلوات الله عليهم أن يعتقدوا إمامتهم اعتقاد من يرى ويعلم أن رضاهم موصول برضاء ربه، وسخطهم مقرون بسخطه فيتحرى من ذلك ما يرجو به رضاء الله[4]، فإذا كانت طاعة الأئمة من طاعة الله، فبذلك فقد صارت طاعة الدعاة المطلقين من طاعة الأئمة التى هى من طاعة الله، مما يتضح مدى السلطة الواسعة التى كانت للدعاة الطيبين على أتباعهم.

ولذلك فطائفة البهرة تقدس داعيهم المطلق تقديساً تاماً، ويطيعونه طاعة عمياء، فجميع الأعمال الدينية والدنيوية موقوفة على إذن رسمى خاص من الداعى المطلق أو من نائبه فى كل مدينة أو بلد أو قرية ويسمى عاملاً (شيخ البهرة) [5]، فيذكر مثلاً من مظاهر تقديس الداعى المطلق أن الداعى المطلق للبهرة السابق " طاهر سيف الدين" كانت مخاطبته شخصياً غير

---

(1) الخربوطلى: عماد الدين إدريس، ص64،65.

(2) Hollister, John Norman, The Shia of India,London,1953,p.266.

(3) سورة النساء 59/4.

(4) القاضى النعمان بن محمد المغربى : الهمة فى آداب إتباع الأئمة، ص 38،39.

(5) أحمد عبد القادر الشاذلى: حركات الغلو والتطرف فى الإسلام، الدار المصرية للكتاب، 1987، ص74.

ممكنة، ففى حضوره كان يوجد عدد من الوسطاء، فيوجه الخطاب إلى أحدهم لينقله إليه، وهكذا ينقل عنه الجواب بالواسطة، مع أن الجميع حاضرون فى قاعة واحدة[1].

ترتيب الدعوة الإسماعيلية النزارية:

هذا عن الإسماعيلية المستعلية أما عن الإسماعيلية النزارية فتختلف مراتبها عن مراتب الإسماعيلية المستعلية تماماً، كما يختلف الاثنان عن الدعوة الفاطمية فى مصر.[2] فقد وضع الحسن بن الصباح نظاماً لدعوته الجديدة ينقسم لقسمين: القسم الأول خاص بالدعاية الدينية فهو شبيه بما كان عليه وقت الفاطميين بمصر، ولكن عدد الدعاة تقلص ونقص بأن جعل " الشيخ" فى مرتبة داعى الدعاة، وله ثلاثة نواب فقط فى الجبل وخوزستان والشام، ومع كل نائب عدد غير محدود من الدعاة الذين كانوا يدعون الناس للعقيدة الإسماعيلية النزارية. أما القسم الثانى فهو خاص بالفدائيين، وهؤلاء يتبعون شيخ الجبل مباشرة يتلقون منه الأوامر مباشرة. ولكنهم على ثلاث درجات: المرتبة الأولى مرتبة الرفاق وهم الذين يدربون الفدائيين ويشرفون على حاجاتهم، والمرتبة الثانية هى الفدائيين، وهم المجندون للقيام بما يأمرهم به شيخ الجبل بعد إتمام تدريبهم واظهارهم استعدادهم للتضحية فى سبيل الإمام والمذهب، والمرتبة الثالثة هى مرتبة المستجيبين وهم الذين فى دور التدريب والتعليم، ولا يزيد عمرهم عن العشرين، ويتلقون تدريبهم منذ الصغر بإشراف شيخ الجبل فى قصره[3].

وبذلك كانت منظمة الدعوة كما كانت فى العصر الفاطمى فى مصر تشكيل هرمى متكامل لا يمكن أن يباشر عمله إلا بالإمام، وتتدرج المسئوليات بين حدود هذه المنظمة. والأساس الذى تقوم عليه هذه المنظمة الهرمية هو نفس الأساس الذى تقوم عليه حدود الوجود بادئة بالعقل الأول منتهية بفلك القمر آخر الأفلاك. ويقوم على رأس منظمة الدعوة

---

(1) محمد حسن الأعظمى: الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثنى عشرية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،1970، ص18.

(2) الخربوطلى: عماد الدين إدريس ، ص58.

(3) محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، ص143،144.

الإمام وهو الذى يأذن للدعاة بنقل تعاليمه، ويأتى بعده "الباب" ولا يعرف طبيعة عمله بالتحديد، ولكن يشعر أن منزلته فريدة، فهو أول من يتلقى آثار تعليم الإمام، وهو حجة الدعاة الذين يأخذون من علومه الإلهية، ويأتى بعده الحجج الاثنى عشر، وعادة ما يكون الحجة رجل متمتع بمواهب خاصة تؤهله أن يسفر للإمام إلى بيئة ذات ميول شيعية، وتقتضى هذه السفارة الإقامة الطويلة ولذا فقد كان قادراً على مباشرة المسائل ذات الطابع الحربى، وظل الحجج محافظين على هذه التقاليد الفاطمية الموروثة -الثقافة الواسعة والقدرة الحربية- حتى آخر مرحلة من مراحل تطورهم فى آلموت، ولكل حجة منطقة اختصاص تسمى بالجزيرة، ويأتى بعد الحجج الدعاة وهم على ثلاثة مراتب[1].

ووظيفة الحجة تطابق لدى النزارية مرتبة شيخ الجبل أو رئيس الدعوة، وقد تمتع الحجة فى نظر النزارية بما كان الإمام يتمتع به من التقديس والإجلال، فالحجة هو ظل الإمام لا يفارقه، وهو يأخذ العلم عن الإمام، ولذلك تمتع الحسن الصباح بشيء كبير من السلطان المطلق، وللحجة نواب ينوبون عنه، يسمى أحدهم "بذى المصة"، وهو يمتص العلم عن الحجة الذى يمتصه عن الإمام، فهو بذلك يأخذ العلم عن الإمام بطريق غير مباشر، ويأتى بعد "ذى المصة" الداعى، والداعى فى التقسيم الروحى لحدود الدعوة هو نفسه فى التقسيم المادى لها، وهو يسمى أحياناً "باب"، أى أنه باب الإمام عن طريق الحجة، فالحجة باب الإمام المباشر، والداعى " باب" الإمام غير المباشر، لأنه "باب" الحجة، ويلي رتبة الداعى "المأذون" و" المكلبين"[2].

وجعل الحسن الصباح مراتب دعوته المادية محصورة بين المستجيب العادى ونائب الإمام أى رئيس الدعوة الجديدة، وجعل عددها سبعة، وكان الحسن يلقب نفسه برئيس الدعوة، ويعد نفسه فى عهد المستنصر "حجة الإمام" لأن هذا الخليفة جعله حجة على خراسان، وبعد وفاة المستنصر سنة 487هـ/1094م ومناداته بإمامة نزار آلت إليه رئاسة

---

[1] السيد محمد العزاوى: فرقة النزارية (تعاليمها ورجالها على ضوء المراجع الفارسية)، مطبعة جامعة عين شمس، 1970، ص ص264:264.

[2] طه أحمد شرف: دولة النزارية أجداد أغاخان، ط1، القاهرة، 1950، ص106،107.

الدعوة الإسماعيلية بفارس وخراسان والشام والهند، ومن ألقاب الحسن باعتباره رئيساً للدعوة النزارية "مولانا" ، "سيدنا"، ولكن أكثر ألقابه شيوعاً "شيخ الجبل"، وقد أطلق عليه البعض "داعى الدعاة" لتمتعه برئاسة الدعوة، ولكنه تمتع بنفوذ يفوق نفوذ "داعى الدعاة" فى العصر الفاطمى[1].

وكانت مراتب النزارية أو درجاتهم من أعلى إلى اسفل: الإمام ثم داعى الدعاة ثم الداعى الأكبر ثم الداعى ثم الرفيق ثم اللاصق ثم الفدائى، ويطلع أصحاب الدرجتين الأخيرتين على الأحكام الظاهرة وقد كانوا فى الغالب من الفلاحين وأرباب الحرف، أما الرفيق فيتاح له معرفة بعض الأسرار الباطنية للفرقة، أما الداعى فيطلع اطلاعاً كاملاً على تعاليم الإسماعيلية، ويعد أعضاء الدرجات العليا الثلاثة الداعى والداعى الأكبر وداعى الدعاة الرؤساء المختارين للإشراف على الدعوة، ولذلك لم تكن التكاليف الظاهرية أمراً إجبارياً عليهم[2].

وكانت رئاسة الدعوة مقصورة على صاحب المرتبة الأولى، ويليه كبار الدعاة وهى مقصورة على ثلاثة من كبار رجالها، ممن يثق بهم الحسن بن الصباح ثقة تامة، فقد قسم الحسن الصباح العالم الإسماعيلى النزارى إلى ثلاثة أقسام الشام وقوهستان بخوزستان ورودبار جنوبى بحر قزوين، ووضع على كل قسم داعياً كبيراً، يتبع مباشرة لآلموت، ويأتى من تحتهم الدعاة الذين يعملون على نشر الدعوة النزارية، وتقتصر هذه الرتبة على الموثوق فى عقيدتهم وطاعتهم من النزارية، ويكون الدعاة الدرجات العليا من درجات "الدعوة الجديدة" وهم متعمقون فى أسرار المذهب الإسماعيلى النزارى، وبعد أن كان الدعاة يأخذون قسطهم العلمى فى مدارس القاهرة ومجالس الحكمة بها، أصبحت قلعة آلموت هى المركز الرئيسى لتخريج هؤلاء الدعاة، ويلى هؤلاء المرتبة الرابعة وهى "الرفاق" وهم الذين تفقهوا فى المذهب الإسماعيلى تفقه الدعاة المأذونين بنشر الدعوة إلا إنهم لم يؤمروا بنشرها، وعملهم التفانى فى المحافظة على جماعتهم، ولا يصلوا إلى مرتبة الدعاة إلا بالتدريج وبعد اختبارات طويلة.ويليهم الفدائيين ولا يشترط فيهم التعمق فى دراسة أسرار المذهب النزارى، وإنما

---

(1) طه أحمد شرف: دولة النزارية أجداد أغاخان، ص75،76،87.

(2) بطروشوفسكى: الإسلام فى إيران، ص268.

يشترط فيهم التفانى فى طاعة رئيسهم والتضحية بأنفسهم فى سبيل ذلك، وقد تميز الفدائية بالشجاعة النادرة، وهذا العنصر المميز تميزت به الدعوة النزارية عمن سواها، ويأتى فى المرتبة السادسة اللاصقون، وهم الذين يأخذون العهد على المستجيبين، دون أن يكون لهم الحق فى نشر الدعوة، كما أنهم مستودع هام ينتخب منه الفدائية، ولذلك فقد كانوا يدربون استعداداً لدخولهم فى مرتبة الفدائية، ولم يكونوا يعرفون الكثير عن أسس المذهب، وإن رأى البعض أن مركزهم يسبق الفدائيين فى الدعوة ولذلك فهم أكثر معرفة منهم بأسرار الدعوة. ويكون المستجيبون المرتبة الدنيا والأخيرة عند النزارية.[1] وبذلك فقد كانت المراتب المنخفضة من الدعاة تشتمل على مرتبة الرفيق ومرتبة اللاصق الذى يأخذ الدعوة للإمام ومرتبة الفدائى[2].

وامتازت دعوة الحسن الصباح فى ذلك الحين أنه استغل مبدأ التعليم من الإمام المعصوم، فلا يمكن لأحد أن يعرف شيئاً إلا عن طريق الإمام أو نائبه، وبما أنه هو نائب الإمام فقد أصبح مصدر العرفان، ولجأ إلى تأويل القرآن بما يتفق ونزعاته السياسية، فأطاعه الدعاة وقدسه المستجيبون، ولذلك سميت هذه الدعوة بالدعوة الجديدة[3].

وركز الحسن بن الصباح فى دعوته على أسلوب المناظرة والمجادلة مع علماء المذاهب الأخرى، فكان يرسل دعاته لمجادلة أصحاب المذاهب الأخرى أمام الناس، وقد عرف دعاة الإسماعيلية منذ عهودهم الأولى أنهم أقدر الناس حجة وأفصحهم لساناً وأكثرهم موهبة فى الجدال لأنهم تدربوا على ذلك. وغرضه من ذلك تشكيك الناس فى عقيدتهم ليسهل بعد ذلك جذبهم إلى مذهبه، وكان من نتيجة ذلك أن قام عدد كبير من علماء السنة والشيعة الإمامية والزيدية بوضع كتب للرد على معتقدات الإسماعيلية، فقامت الإسماعيلية بدورها بوضع كتب فى الرد عليهم[4].

---

(1) طه أحمد شرف: دولة النزارية ، ص80:87.

(2) براون: تاريخ الأدب فى إيران، ص252،253.

(3) حسن إبراهيم حسن: الفاطميون فى مصر، ج4، ص258.

تطلق " الدعوة الجديدة" على الدعوة الإسماعيلية التى أسسها الحسن ين الصباح يخضع كل رجالها لرئيسهم الروحى، ويعملون جميعاً على نشر الدعوة. أيمن فؤاد السيد: الدولة الفاطمية فى مصر، ص 157.

(4) محمد كامل حسين: طائفة الإسماعيلية، ص77، 78.